المصدر: السياسى المصرى

التاريخ : ١٩٩٣/٥/٣٠

د. محمد إسماعيل على يكتب :

ذكريات وإنطباعات شخصية مع الرئيس السادات .. وعنه

لقاء مع السادات .. ولقاء مع الأمريكان

منصور حسن

كمال الشاذلى

عثمان احمد عثمان

عبد المنعم عمارة

محمود القاضى

كانت القاعة الصغيرة ، مكتظة بنحو ستين من رجال الجامعات والمفكرين .. تطوعوا للعمل الوطنى الحزبى المجرد من اى هويه ...

وصادف جلوسى فى الصف الاول ، ان كان بينى وبين الرئيس السادات مسافة لا تزيد على مترين فقط ...

دخل الرئيس القاعة ، بقامته الهديره ، وقوامه الرشيق .. ولونه الاسمر .. وابتسامته العريضة .. وكان يلبس (تى شيرت) باكمام طويلة وبلون كحلى داكن ..

صافحنا جميعا واحد واحد ، بعد تقديم بسيط قام به منصور حسن لكل منا ، وجلس الرئيس ، ثم صافحنا مرافقوه .. نائب الرئيس محمد حسنى مبارك ، عبد المنعم عمارة ، وعثمان احمد عثمان ..

وللوهلة الاولى ، كان اول إنطباع للمصافحين لنا ، هو قوة وخشونة يد المهندس عثمان احمد عثمان .. قدمته يده إلينا .. رجلا شق طريقه باظافره .. فانعكس ما ضيه بين اصابعه .. مما جعلنى احدق فيه باعجاب شديد ...

جلس الجميع على منضدة طويلة ، الا منصور حسن ، الذى اختار أن يظل واقفا ، ليبدأ فى القاء كلمة قصيرة ...ثم تحدث السادات ...

□ □ □

تكلم عن مصر .. وعن الظروف التى تحيط بها .. ثم دافع عن المهندس عثمان احمد عثمان ... وفندما يقوله المرحوم محمود القاضى عن المهندس عثمان ...

كان عنيفا فى هجومه على محمود القاضى ... ودفاعه عن عثمان .. ولم يكن عندى أى حقيقة أستند إليها فى إستيعاب مايقوله الرئيس ولا فى إستيعاب الحملة التى كان يشنها محمود القاضى أنذاك على عثمان أحمد عثمان ...

□ ثم بدأ يتحدث عن نفسه ... ماضيه الحافل بالأهوال .. و ركز على تلك الفترة التى تم فيها عزله من رتبة ملازم بالجيش وإيداعه بالسجن الحربى ...

كان حديثا مثيرا للأشجان ، ونحن ننصت إلى سجين مطرود من الجيش ، اصبح رئيسا للجمهورية .

وبلغ قمة إنفعاله وهو يتحدث عن قدرة الله سبحانه وتعالى :

« كنت فى سجن .. مفيش معايا إلا جردلين ، واحد للبول وواحد لمية الشرب ... معزول من الجيش .. يعنى اخرج للشارع ولافيش معايا إلا شهادة التوجيهيه

ماكنتش احلم إني أرجع للجيش ابدا .. داكان من احلام اليقظة المستحيلة ... لكن شوفوا .. الضابط المسجون المطرود .. تشاء إرادة الله ان يصبح رئيسا للجمهورية .. !! » ثم هتف السادات من اعماقه :

« ويرزق من يشاء بغير حساب » ..

أغرورقت عيناى بدموع الانفعال والايمان بقدرة الله على إغراق الإنسان بمالم يخطر له على بال ...

وسكت الرئيس برهة ... اشعل فيها غليونه الشهير .. وأخذ عدة أنفاس متلاحقه ... وقال :

« انا بقولكم الكلام ده ليه .. علشان محدش يفقد الامل أبدا انا كنت تحت خط الفقر .. بإشتغل تباع ، واحمل عربيات النقل .. وانام سطيحه فوق ضهر العربية .

« انا طالع من طين مصر .. من تراب مصر .. انا فلاح وعامل مصرى .. عشان كده اللى يمس شعره من راس مصر يبقى كانه بيدبحنى ويعتدى على عرضى ..

عارفين اللى حصل من شهور بسيطة ! ؟ قبل كامب دايفيد بأيام .. بعتولى الجماعة بتوع بغداد .. وفد عربى ، معاه عرض

بأربعة مليارات دولار يدوهم لمصر .. عشان تسيب كامب ديفيد !!

« انتظروا فى استراحة كبار الزوار .. واصدرت تعليماتى باعادتهم فورا إلى بغداد على نفس الطيارة ..

« انا ابيع إرادة مصر ! ؟ انا اخلى اليهود فى سيناء واخذ اربعة مليارات دولار ! ؟ لا .. لا .. لا ... مصر .. حضارة سبع تلاف سنة .. لا تباع ابدا ياولادى .. »

□ مرة أخرى تتفجر ينابيع الدموع فى عينى .. ويقشعر بدنى ، وأنظر إلى هذا المصرى الأصيل .. وأكاد احتضنه بكل جوارحى صادقا أو كاذبا .. ليس مهما .. المهم انه قائد رائع وزعيم عظيم ، يفخر من يقترب منه ويعرفه عن كثب ، كل مخزون الحب لمصر .. ترابها وطينها وناسها ..

وتشعب حديث السادات كثيرا .. حتى حاجاته الشخصية مواعيد نومه ويقظته وأكله ..

ومثل الاب يحدث ابنائه :

: « ياولاد .. انا اتعرضت لأكثر من اتاك [يقصد ازمة قلبية] .. وجتنى واحدة يوم جنازة عبد الناصر .. وشالونى ع البيت .. وقبل كده كان كلامى مع عبد الناصر إن انا حا اموت قبله

بسبب الأزمة القلبية : لأن هو كان صحته بسم الله ما شاء الله .. آهى .. لكن إرادة الله فوق كل شىء .. مات عبد الناصر القوى .. وعشت انا العيان .. »

وضجت القاعة بالضحك ، بعد فترة انفعال شدت أعصابنا كثيرا .. ثم قال :

و انا دلوقتى بامشى اربعة كيلو كل يوم ... لازم الواحد منكم يمشى اربعة كيلو كل يوم .. ماتكلوش كتير .. ضيعوا الجوع بس زى ماقال الرسول عليه الصلاة والسلام » .

وبعد أن تحدث الرئيس عن دور مركز الدراسات الوطنية ، قال :

« انا عاوز حزب نضيف مفيش فيه حرامية ولا انتهازيين .. كل واحد بيقول انانضيف .. ابص الاقيه حرامى .. !! مهمتكم إنتم تحطوا إديكوا على العناصر النضيفة .. عشان مصر امانة فى رقبتكم .. مصر ما هياش عبد الناصر ولا السادات » .

□ وبدأنا فى حوار طويل مع الرئيس ، كان من أهمه ذلك السؤال الذى طرحناه :

ما هو مستقبل الديمقراطية فى مصر ياسيادة الرئيس ! ؟

هز الرئيس راسه ، وجذب من غليونه عدة انفاس عميقة ، بعد أن أعاد اشعاله بأعواد الكبريت ..

- « كويس السؤال .

« هو .. اللى فى مصر دلوقتى .. قدر محدود من الديمقراطية .. انا باحط مصر على أول الطريق .. والأجيال الجاية اللى توسع الديمقراطية زى ما هيه عايزه .. .

« انا كان ممكن اقول : إطلاق الحريات بلا حدود .. اللى عاوز يعمل حزب يعمل .. واللى عاوز جورنال يعمل .. لكن يا ولادنا انا خايف من (الفركيشه) ..

« انتوا عارفين ايه اللى حصل فى البرتغال ! ؟ بعد اربعين سنة من حكم (سالا زار) الديكتاتورى .. اطلقوا الحريات مرة واحدة ، فحصلت (فوركيشة) .. هاصت البرتغال ودا يضرب فى دا ، وحرب اهلية .. كل واحد بيدعى إنه هو احسن واحد ..

« انا عاوز مصر تخطى من عتبة حكم الفرد بهدوء .. وخطوة خطوة .. زى ما انتقلت السلطة من عبد الناصر لى ، فى هدوء .. لازم تنتقل للحريه بهدوء برضه ..

وانا عارف إن الديمقراطية اللى عندنا مش هيه الديمقراطية

الكاملة .. انا عارف كده .. وأى واحد فيكم كان مطرحى مش حايعمل اكتر م اللى انا عملته .. انا خايف مصر تضيع بين الإخوان والشيوعيين والاتحاد الاشتراكى وتبقى حرب اهلية .. الأجيال اللى جاية هيه اللى تكمل مشوار الديمقراطية » .

□ □ □

فلما انتهى اجتماعنا مع الرئيس ، يوم الأحد ٢٥ نوفمبر ١٩٧٩ ، وعدنا بلقاء أخر ، صباح الأثنين ٢٦ نوفمبر ..

وكان عبد المنعم عمارة محافظ الاسماعيلية ، قد أمر باعداد زيارات لنا ، لمشروعات الأمن الغذائى بالمحافظة ، وأردف الرئيس ، قائلا : وخليهم يشوفوا نفق أحمد حمدى .. وهو لسه تحت التشطيب ..

وكان اطرف ما فى مساء الأحد ٢٥ نوفمبر ان احد الزملاء من أساتذة (التاريخ) قد ابدى لعبد المنعم عمارة توعك مزاجه لأنه اعتاد على تدخين الشيشة فى بيته ..

وكانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل ، ولا أحد فى شوارع الإسماعيلية .. لكن عبد المنعم عمارة ، كانه يعرف سكان الإسماعيلية ، امر بارسال مندوب إلى فلان و ، فلان .. وعدد بعض الاسماء من أصحاب المقاهى ، ليقول لمن يجده

يستيقظ إن عبد المنعم عمارة عاوزك تبعت شيشه لجماعة ضيوف عنده !!

وقد أيقنت ليلتها أن عبد المنعم عمارة وثيق الصلة بأهل الاسماعيلية ملتصق بهم على المستوى الشخصي .. وبالفعل وصل عدد من (القهوجية) كل واحد معه شيشه .. اختبرها جميعا زميلنا العزيز واختار واحدة ، فتنحى بها جانبا من الفندق الذى اقمنا فيه ليلتنا ، فاعتدل مزاجه إلى مدى بعيد ..

وفى لقائنا الثاني مع الرئيس صباح الغد ، بحثنا شئون مركز الدراسات الوطنية ، وقمنا بجولة على لنشات هيئة القناة فى قناة السويس شاهدنا فيها بطولات اكتوبر على خط بارليف .. ثم شاهدنا شركات الدجاج التى تقوم بالذبح والتنظيف والتغليف وثلاجات حفظ الاغذية ، صحبنا فيها أحمد أبو زيد وصفوت الشريف رئيس الاستعلامات فى ذلك الحين ، وكنت قد تعرفت به مساء أمس وتحدثنا كثيرا ، والتقيت به بعد ذلك عدة مرات فى مكتب منصور حسن ، مع كمال الشاذلى وعبد اللطيف بلطية والمرحوم محمد رشوان وتوفيق عبده اسماعيل ، وأمين بسيونى .

□ وعدنا من لقاء الاسماعيلية مساء الاثنين ٢٦ نوفمبر ١٩٧٩ ، ولدينا احساس قوى بالمسئولية التى حملنا إياها الرئيس ..

وكنت فى واقع الأمر ، سعيداً بهذه اللقاءات ، التى عرفتنى على

أهل القمة فى مصر ، دون سعى منى ولا طلب .. فلم يكن لدى خاصية المبادرة للقيام بأى دور .. بل على العكس كنت كثيرا ما اتريث أو اعتذر عن الانخراط فى العمل السياسى .. ذلك أنه كان يرقد فى أعماقى احساس بأن الجماهير تسخط دائماً على أهل القمة ، وتصف من حولهم بأنهم بطانة سوء أو انتهازيين ..

ولم أكن مستعدا لأن أكون موضوع سخط لأحد بقدر ما استطيع .. وقد انعكس ذلك الإحساس على عملى القصير بعد لقائى المنفرد فى المعمورة مع الرئيس السادات ، مما سأعرضه فى حينه .. لكن المهم أننى كنت مترددا غاية التردد فى الانخراط فى العمل السياسى .. ولولا شخصية منصور حسن وقوة اقناعه واخلاصه ، لما خطوت خطوة واحدة ..

و اذكر فى هذا المجال ، أننى اصبحت (هدفا) تسعى اليه السفارة الامريكية !! وقد اصابنى ذلك بالرعب والخوف من

ان أتورط فى شىء دون أن أدرى ..
لذلك كنت أتوجس خيفه وأنا البى دعوة المستر (جوزيف لورين) المستشار السياسى للولايات المتحدة الامريكية فى جاردن سيتى فى السنة العاشرة من صباح الثلاثاء ٢٤ يوليو ١٩٧٩

فقد صحبتنى السيدة نادية الكيلانى ، سكرتيرة المستشار إلى مكتبه دون أن أدرى سر هذه المقابلة !! واستقبلنى المستشار السياسى بترحاب شديد ، وبدأ يتحدث عن سياسة الولايات المتحدة ، حتى طرح على سؤالا عن رأيى فى مدى نجاح هذه السياسة فى الشرق الأوسط !! ..

فانطلقت مهاجما هذه السياسة ، مؤكدا أن غرور إسرائيل يرجع إلى مساندتكم لها ، وأن عليها أن تثبت حسن نواياها بالكف عن بناء المستوطنات والاعتراف بعروبة القدس كجزء لا يتجزء من الضفة الغربية ..

وكان المستر (جوزيف) ينصت إلى بإهتمام شديد ،

ويبدى رأيا مغايرا فى بعض النقاط .. وأفهمته أن رسالة الدكتوراه التى حصلت عليها ، تنكر على اسرائيل أى شير فى فلسطين كلها من الناحية القانونية . ففاجأنى بأنها موجودة بمكتبة الكونجرس فى واشنطن !!

وحدثنى عن الفرق بين القانون والأمر الواقع .. وأصررت على وجهة نظرى ، دون أن يبدو عليه الضيق ..

وقام (جوزيف) بمهمة تعريفى بالآنسة (هيكس) الدبلوماسية السمراء التى ستحل محله فى العمل ، وكان لى معها جولات بعد ذلك ، لعل أطرف ما اذكره فيها ، سؤالى البرىء لها :

ربما تكونين من جهاز المخابرات الأمريكية ياهيكس ؟

فقالت بثقة : ليست لديك أسرار نسعى إليها ولكنك وثيق الصلة بالرأى العام بحكم كتاباتك .

□ ودرءا للحدود بالشبهات ، وخوفا من أن اكون قد ارتكبت خطأ بهذه الزيارة .. قمت فى الساعة السابعة وعشرين دقيقة من مساء نفس اليوم الثلاثاء ٢٤ يوليو ١٩٧٩ برواية كل التفصيلات لمنصور حسن ، معبرا له عن مخاوفى وأنا إنسان (مستجد) فى عالم السياسة الغريب .. !!